« الآداب » في عامها العشرين ..

انهض صباح هذا اليوم ، وانا افرك عيني متسائلا : أصحيح ان المجلة تدخل بعد ايام عامها العشرين ؟ أصحيح اننا قضينا هذه الاعوام الطويلة كلها ونحن نعيش معها الادب والفكر والسياسة ، فنبتهج تارة بحدوثنا الامل والتفاؤل ، ونأسى تارة اخرى يرهقنا الحزن والتشاؤم ، ثم نحاول تارة ثالثة أن نتحلى عن واقعنا المعاش ، لنستشرف مستقبلا افضل نرصد له طاقاتنا وقوانا ، ونهدهد احلامنا باننا انما نعمل لجيل اولادنا اذا كنا نعتقد ان جيلنا قد سقط ؟ » .

أجل ، لقد عايشت « الآداب » الفكر العربي في لحظات الصعود ، لحظة الثورة المصرية وحرب السويس والثورة الجزائريه والثورة العراقية ودوله الوحدة ، وطلت طوال السنوات العشر التي شهدت هذه اللحظات صوت الضمير العربي المتلهف الى بناء الحضارة العربية الجديدة على أسس ثوريه حديثة في الايديولوجية والابداع والثقافة وحضنت جيلا من الادباء ارسى قواعد المرحله الجديدة في تاريخنا الادبي بعد جيل الرواد ، ورفعت راية الشعر العربي الحديث قبل اية مجلة تزعم انها شقت له الطريق ... عايشت « الآداب » لحظات الصعود تلك ، فهفت اليها أقلام الكتاب العرب في كل مكان من الوطن العربي ، ولكنها عايشت كذلك لحظات الهبوط التي شهدها العقد الثاني من حياتها لحظة كارثة الانفصال وهزيمة حزيران ، ولا تزال تعيش التمزق الفظيع الذي يعانيه الوجدان العربي لهفة الى استرداد الذرامه بتحرير الارض واستئناف المسيرة .

ولقد عكست المجلة ، خلال ذلك كله ، وضع الادب العربي الذي كان يتراوح بين الخلق والركود ، وما كان لها هي ، ولن يكون لها ، ان تخلق ما يعجز الادباء عن خلقه . من هنا كان الرد المتواضع على من يتهمونها بالضعف والانحدار : اين هي المجلات العربية الاخرى الشبيهة « بالآداب » التي هي ارفع منها مستوى او أقدر على تقديم نماذج الابداع الادبية في هذه المرحلة من تاريخنا ؟

ان هذه المجلة تكره التبجح الذي اصبح عنوان بعض من ماتت مجلاتهم فظنوا انهم يبعثونها باختراع مزايا ومناقب لم يكن في ماضيها . ان « الآداب » قد سارت بقوة وصلابة ، وواجهت عقبات كثيرة ولا تزال تواجه العقبات ، ولكنها تحس الان ، وقد غابت عدة مجلات لم تستطع هنا وهناك ان تقاوم مثل تلك العقبات ، انها فيما هي مدعوة الى مزيد من الصمود ، مدعوة كذلك الى بذل جهود كثيرة في ميدان التحرير لتتجاوز ذاتها وتكون أقدر على مواجهة التطورات التي تعصف بالامة العربية ، ومن ثم بالفكر العربي ووسائل اعلامه ، ومنها المجلات الادبية .

ولكننا مع ذلك ، نعتقد ان « الآداب » تملك مزية نرجو الا نكون مبالغين في تقييمها : وهي انها استطاعت دائما ان تجاري وتتابع احدث التيارات الادبية في الانتاج العربي الحديث ، وان تقدم دائما أصواتا جديدة ، وأقلاما جديدة ترهص بمواهب تحمل الوعود الكثيرة ، في الشعر والقصة بصورة خاصة . ولكن هذا لا يعني انها قدمت كل « الاقلام الجديدة » فهي لا تستطيع ذلك اولا ، ولا تقره ثانيا ، لان في كثير من هذه الاقلام الجديدة ما يحتاج الى اصالة يحسب بعضهم اكثر الاحيان انها تكمن في الابهام والتعقيد والشطحات الخيالية والمغامرات اللغوية التي تتحدى كل قاعدة . ولما كان « للاداب » خط واضح المعالم في تقديم النتاج الادبي ، فانها قد امتنعت غالبا عن افساح المجال لمثل تلك المادة القائمة على النزوة والهوى اكثر منها على الاصالة والموهبة . ونذكر هنا على سبيل المثال ان هذه المجلة قد آمنت منذ البدء باهمية القصيدة الجديدة ، فافسحت لها اوسع المجال ، وساعدتها على تثبيت اقدامها وتوضيح هويتها ، ولكنها لم تؤمن بأهميه قصيدة النثر التي لا نعتقد انها استطاعت حتى الان ان تبرر القناعة بأهميتها في تطور شعرنا الحديث .

وقد كان « للآداب » وما يزال خطها الواضح في الفكر العقائدي ، خط العروبة والتقدمية . كان ابدا هو الخط القومي العربي الذي يؤمن بالوحدة والاشتراكية ، والعمل ضد جبهة الاستعمار والصهيونية . وبالرغم من ان المجلة أفسحت صدرها بعد هزيمة حزيران ، لكثير من الدراسات والقصائد والقصص التي تحمل النقد لآفات الحياة العربية في السياسة والاجتماع ، فانها حاذرت دائما ان ينقلب هذا النقد الذاتي الى اشكال التعذيب النفسي والاذلال للذات والتنكر للتراث كله ، مما يفقد الانسان العربي كل مرتكز له ، فيصير الى تخبط شديد لن يعينه اطلاقا في التغلب على أزمته الحالية والشفاء من آفاته .

ولا شك في ان هذا الوعي لوضع الانسان العربي الذي تتناهبه التيارات في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ القضية العربية هو الذي فرض احترام هذه المجلة على السلطات الحاكمة في البلدان الثورية ، على اختلافها في كثير من الاحيان ، لانها تقدر « للآداب » دورها النضالي وعدم تلوثها بأية نزعة او ارتباطها بأي حكم .

★★★

والآن ، ما الذي ستأخذه « الآداب » على عاتقها في عامها العشرين ؟

اننا لا نحب ان نبذل الوعود ، ولكننا سنحاول ان تبقى هذه المجلة صوت الفكر العربي الملتزم بخدمة النضال العربي من أجل الحرية والتحرير . وهذا يقتضينا ان ندعو كتابنا الى مزيد من حرية التعبير في معالجة مشكلاتنا الايديولوجية والاجتماعية ، وأن ندعو شعراءنا وقصاصينا الى مزيد من الجرأة في تشخيص أمراضنا ونقائصنا تمهيدا لبناء انسان عربي سليم معافى .

مؤتمر ومهرجانان ...

في الحادي عشر من كانون الاول الماضي ، انعقد في دمشق والموصل مؤتمر الادباء العرب الثامن ومهرجان الشعر العاشر في العاصمة السورية ، ومهرجان ابي تمام في الموصل ... وتفرق الادباء والشعراء بين البلدين العربيين ، وكان هم كل بلد ان يجتذب اليه حملة القلم من كل قطر ... وقامت ، في اللحظات الاخيرة ، مساع حثيثة لتجنيب الادباء هذه الفرقة ، حفاظا على روح التضامن الادبي من ان يصدعها ما هو خارج عن الادب ، ولكن هذه المساعي آلت الى الاخفاق ، فانعقد المؤتمر والمهرجان في اليوم نفسه !

هذا العدد الخاص ، تحاول به « الآداب » ان تنجح المسعى الذي أخفق ، فتجمع بين المؤتمر والمهرجانين ... ولقد كانت مادة المؤتمر أغزر بالطبع، فاحتلت معظم صفحات العدد . المهم في الامر اظهار هذا الرمز ، رمز اللقاء والتضامن بين الادباء العرب الذي كانت هذه المجلة ، منذ صدورها ، وما تزال تجسده أفضل تجسيد ...

« التحرير »

وابتداء من العدد القادم ، ستعود الى « الآداب » أقلام بدأت منذ سنوات بعيدة نخط على صفحاتها سطورها الاولى ، ولكنها ما تزال تنبض بالقوة والفتوة ، وتشارك في تحديد اطار المرحلة الجديدة من تاريخ ادبنا الحديث ، تلك المرحلة التي شقت للابداع الادبي آفاقا مشرقه في الشعر والقصة والدراسة .

ولايمان هذه المجلة بأن الفكر الغربي والشرقي يقدم لنا زادا ثمينا في درب خلق ثقافتنا الجديدة ، فاننا سنعنى بتقديم المزيد من الدراسات عن الآداب الاجنبية ونماذجها المعبرة التي أن ضاق صدر المجلة باستيعابها ، فان « دار الآداب » سوف تسعفها في ذلك .

وستحاول المجلة كذلك ان تدخل تنويعات جديدة في ابوابها ، تبدأها في العدد القادم بتقديم عشرة نقود لمؤتمر الادباء العرب الثامن ومهرجانه الشعري ، يكتبها عشرة نقاد من الوطن العربي ، متناولين فيها ابحاث مؤتمر دمشق التي ننشر في هذا العدد اكثرها ، لا اقرارا منا بأهمية هذه الابحاث ، التي كان معظمها في الواقع دون المستوى المفروض فيه ، بل لنتيح لمؤرخي الادب ونقاده وللقراء في وقت واحد مجال النقد والتقييم والنقاش . وعلى ذلك ، فاننا لا نعتبر هذا العدد الخاص مثالا لما نريده « للآداب » من تجديد ، بل وسيلة لتقديم هذا المثال في الاعداد التالية .

وفي خطة المجلة لهذا العام وللاعوام القادمة ، أن تقدم بين الحين والحين اعدادا خاصة في موضوعات معينة تقترحها على الدارسين والنقاد لمعالجتها على نحو شامل يوفر للقارىء معرفة معمقة بتلك الموضوعات . وستقدم كذلك اعدادا خاصة عن آداب البلاد العربية تتناول دراسات مستفيضة ونماذج جديدة معبرة عن تطور تلك الآداب . ولما كان القارىء العربي غير مطلع اطلاعا كافيا على آداب شمال افريقيا العربية ، فستبدأ المجلة باصدار عدد خاص عن « الادب التونسي » الحديث ، تتوخى من تقديمه شد أواصر الاخوة الادبية ، بله العربية ، مع هذا القطر الشقيق الذي يدخل مرحلة انفتاح صريح يرحب بها كل عربي مخلص يطمح الى توثيق عرى التضامن العربي في كل مجال . وسوف تكون اعداد مماثلة مخصصة لاقطار عربية اخرى .

* * *

ولا بد أخيرا من كلمة حول وضع « الآداب » المادي وهو أمر يعني القارىء حتما ما دام حريصا على استمرار المجلة في الصدور ، وما دام يدفع ثمن النسخة التي يقتنيها كل شهر .

فلقد أصبح امرا مفروغا منه ان المجلة الادبية ، في العالم العربي ، مجلة خاسرة حتما من الناحية التجارية . وهذا هو السر في اغلاق المجلات الادبية واحدة بعد الاخرى . وليست هناك وسيلة لاستمرار الصدور الا في ان تكون المجلة صادرة عن وزارة مسؤولة ترصد لها ميزانية لا تحسب حساب الربح والخسارة ، بل يكون ارتباطها بها اصلا لسد خسارتها حين تحصل .

و « الآداب » مجلة مستقلة لا علاقة لها بأية مؤسسة حكومية ، وترفض اصلا ان توصي عليها أحدا ، كما ترفض ان تتلقى « اعانة » بغير مقابل . ولكنها لا ترفض طبعا ان تتلقى « اشتراكات » محددة الاسعار في الصفحة الاولى من كل عدد ، بل هي لا ترى سبيلا لثباتها واستمرارها الا في تضاعف هذه الاشتراكات ، سواء كانت من الافراد ، او من المكتبات والمؤسسات العامة . وهذه الاشتراكات حتى الان ضئيلة نسبيا ، والمورد الاساسي للمجلة يأتي من البيع في السوق ، وهو بيع تأكل المكتبات معظم ربحه. ولو ان نصف القراء الذين يشترون المجلة من السوق يستعيضون عن ذلك بتحويل قيمة اشتراكهم الى الادارة ، لتجنبت « الآداب » كل المصاعب والازمات . وهي على اي حال ، ستظل صامدة قوية ، وسنظل نبذل لها من جهدنا ونشاطنا ما دمنا على قيد الحياة .

وتحية مخلصة صادقة لاسرة « الآداب » ، كتابا وقراء في هذا العام العشرين من عمرها ، آملين ان يكون عام النصر والتحرير .

سهيل ادريس